المشاكل والمعوقات التي تعترض الاستعمال الأمثل للغة العربية

م. بشير داوود الحسن *

الملخص:

اذا كان الكمال المطلق لاي شيء في هذا الوجود يعتبر مثلا اعلى يتاق اليه ولا يبلغ..... فان لغة لايمكن للناطقين بها ان يدعوا كمالها او على الاقل خلوها من العيوب ، وانما لكل لغة مميزاتها ، الى جانب عيوبها ونقاط الضعف فيها ومشاكلها مع الناطقين بها ، ومع المناهضين لها من ابنائها .

لذلك جاء هذا البحث كي يستعرض بعض نقاط الضعف الموجودة في اللغة العربية والاتهامات المغرضة الموجهة اليها ، وشرح اسبابه والرد على الاتهامات الموجهة ومناقشتها ومقارعتها بالحجة.

Abstract

If the absolute perfection of any thing in this existence is the highest example not reached to ..... The language cannot be speaking out of that claim perfection or at least free from defects, but each language features, along with its flaws and weaknesses and problems with the speakers, and with its anti-sons.

Therefore, this research was to review some of the weaknesses in the Arabic language and malicious accusations against her, and explain the causes and respond to the accusations, discussed and deterrent argument.

*. مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية .

المقدمة

اذا كانت اللغة من الناحية الشعورية والوجدانية تمثل روح الامة ، ومن ناحية الثقافية تمثل الوعاء والوسيلة الناقلة للافكار والتقاليد والخبرات عبر الاجيال المتعاقبة على تاريخ الامة ، وكانت من الناحية السياسية هي معالم الحدود الحقيقية للرقعة الجغرافية الوطنية والقومية ، ومن الناحية السيادية هي من اهم اسس الهوية ومكونات الشخصية والوحدة الوطنية ، لاية مجموعة بشرية ، تعيش في انسجام على وجه الكرة الارضية ... اذا كانت اللغة كذلك فلانها تعتبر بدون منازع افضل وسيلة للتخاطب بين الافراد ، والتعبير عن افكارهم . وهي وان لم تعتبر الاداة الوحيدة للاتصال بين الاشخاص ، الا انها اداة لا غنى عنها لبني البشر لبناء الحضارات وتشكيل الامم وتوحيد الاوطان ، كما ان للغة اهمية كبرى لكونها اداة فعالة لشحذ الذاكرة ونقل المعرفة والتعبير عن المفاهيم المعقدة ، وفي ذلك يقول الباحث العربي نور الدين حاطوم:(لقد اصبحت اللغة ابتداءاً من منتصف القرن التاسع عشر من أهم المقومات المحددة للجنسية لأي شعب أو أمة)[1].

ويؤكد ذلك ايضاً الفيلسوف الالماني (فيخته) بقوله : (اينما توجد لغة مستقلة توجد امة مستقلة لها الحق في تسيير شؤونها وادارة حكمها)[2] .

ولقد تاكد من خلال القرن العشرين حين لجأت الدول المنتصرة عقب الحرب العالمية الاولى في اجتماعها " بفرساي " الى تعيين الحدود بين الدول على اساس المناطق اللغوية، وحتى عندما تتشابك الثقافات في المناطق الواقعة بين امتين كبيرتين ، تكون اللغة عادة هي المعيار الذي يحدد شخصية الاقليم المتنازع عليه[3] .

وقد استعمل موسوليني بالفعل هذه الفكرة لاغراض توسعية ، اذ كان يحس بان مطالبته بضم جنوب " تيرول " لن تكون شرعية الا اذا قطن هذه المنطقة سكان ناطقون باللغة الايطالية ، مما جعله يشجع الايطاليين على الهجرة الى تلك المنطقة[4] .

واذا قلنا بان اللغة هي المعيار لبيان حدود امة ، فلأن خاصية كل لغة تترك اثرها على نفسية الشعوب وطريقة تفكيرها، وهي الذكريات المشتركة للأمة، واذا اندثرت ضاعت معها معالم القومية، ويمكن القول (بكيفية شبه عامة) بان اللغة والدين المرتبط بها ، ان كان موجوداً ، (كما هو حال الاسلام واللغة العربية في امتنا) ، يعتبر من العناصر الاساسية التي تكون الثقافة والشخصية القومية لاي امة في العالم . ولما كانت اللغة بهذه الدرجة من الاهمية ، فاننا نجد صفاتها الوطنية والرسمية محددة عادة في مقدمة المواد الدستورية للدولة المستقلة مع ادراج

بنودها في الغالب ضمن المواد التي لا تقبل المراجعة والتغيير ، لكون المساس بكنهها يعني المساس بقداسة الوجود ضمن الحدود المعترف بها .

ولقد كانت اللغة وما تزال هي المفجر او الصاعق الكامن وراء جل الصراعات العرقية القائمة بين شعوب الدولة الواحدة ، داخل التراب الوطني ، او على الحدود الاقليمية والسيادية للاقطار المتجاورة في البنيان ، والمتغايرة في الولاء والشعور والوجدان ، الناتج عن اختلاف استعمال اللسان ، بصفته مرآة السياسة وعنوان السيادة في جميع البلدان .

وهذا ما وقع في الماضي وما هو واقع اليوم بين كوريا والصين واليابان ، والصرب والالبان، والفرنسيين والالمان ، والباسك في اسبانيا والكاتان ، والفالون في بلجيكا والفلامان ، والاكراد في العراق وتركيا وايران ، والاوزبك والباشتون والطاجيك والهازارة في افغانستان ، والبلوش والسنهال والتاميل في سيلان والهند والباكستان وكانت اللغة المستضعفة والمستهدفة من هذه الوجهة ، وبدون منازع ، هي بين الداء الذي ينخر الكيانات القومية الضعيفة لازالتها من الوجود وكانت اللغة وقوتها في مقدمة كل دواء ، لوقاية كيان الدولة ووحدة الشعب والامة من التشتت والتفرق والتمزق ، الى كيانات مجهرية لا حصر لها ، داخل الرقعة الجغرافية الواحدة ، كما يتجلى ، على خريطة العالم الممدودة ، كالحصيرة امام كل ذي بصر وبصيرة ....

تحديد نوعية المشاكل والمعوقات التي تعترض الاستعمال الأمثل للغة العربية

لما كانت اللغة العربية على هذا المستوى الذي ذكرناه من علاقتها الوثيقة بالحضارة العربية ذات الطابع المتميز ، فانه من غير الطبيعي الا تصادفها المشاكل وتعترض طريقها والمعوقات وتحوم حولها التشكيكات في قدرتها على القيام بدورها الحضاري الذي يجب ان تستمر في القيام به لتبقى حية ولا تتجاوزها الاحداث لتحيلها الى متحف اللغات .. كما يرغبون ويعملون كل ما في وسعهم لتحقيق ذلك .

واذا كان الكمال المطلق لاي شيء في هذا الوجود يعتبر مثلاً اعلى يتاق اليه ولا يبلغ ... فان لغة لا يمكن للناطقين بها ان يدَّعوا كمالها او على الاقل خلوها من العيوب ، وانما لكل لغة مميزاتها ، الى جانب عيوبها ونقاط الضعف فيها ومشاكلها ، مع الناطقين بها ، ومع المناهضين لها من ابنائها (المستلبين بحضارة غيرهم) ومن الناطقين بغيرها .

وسعياً منا وراء الكمال (النسبي) الذي ننشده للغة العربية سنتعرض لبعض مواطن الضعف الموجودة فيها والاتهامات المغرضة الموجهة اليها حتى نكون على بينة من جوانب

ضعفها ان وجدت ، وجوانب التقصير فينا نحن الذين قد نظلم هذه اللغة بجهلنا لها او بما رآه اعداؤنا في الاحكام التي يطلقونها عليها لاهداف استراتيجية خفية لا تظهر منها إلا المسحة الخارجية الموشاة " بالموضوعية " المزيفة التي تسلب افكار بعضنا ، وتجعلهم يرون وجوههم في مرايا مشوهة باتقان فيعتقدون انها حقاً كذلك ، وهي في الحقيقة مجرد خدعة انطلت عليهم ببراعة ماكر ، وكيد غادر .

واذا كنا قد حددنا اهم خصائص هذه اللغة ومميزاتها قبل حين ، فاننا نتناول في هذا القسم تحديد بعض جوانب النقص او الضعف فيها ، وشرح اسبابه ، ثم طرح الاتهامات الموجهة لها مع الرد عليها بما تتطلبه من مناقشة ومقارعة بالحجة ...

أ- كثرة المفردات :-

يؤخذ على اللغة العربية كثرة مفرداتها الزائدة على اللزوم في بعض المجالات دون الاخرى، وعيوب هذه الكثرة تتمثل في المترادفات (الملاحظة) الموجودة للشيئ الواحد ، مما يجهد القارئ والمتعلم في الاحاطة بكل تلك المترادفات ، كأن نجد مثلاً عشرات الاسماء للاسد ، ومثلها للسيف والعسل والجمل .

ومن ذلك قول المستشرق (ارنست رينان) : (ان الثراء الخارق للمألوف في المفردات العربية يجر على هذه اللغة من المتاعب اكثر مما يوفر لها من الفوائد ، فهو ينتهي الى متاهات تجني كثيراً على الوضوح ، وان الانسان ليشعر بما يشبه الدوار عندما يرى كل تلك المعاني المختلفة والمتضادة تقريباً تزدحم في المعاجم العربية حول كل لفظة "[5] . والحقيقة ان هذا التضخم الحاصل في المفردات العربية شيئ لاننكره ، وهو يعتبر من مميزات هذه اللغة ، الا ان استغلال وجود هذه الظاهرة من بعض المتحاملين للهجوم على اللغة العربية واتهامها بالقصور والضعف او الاستشراف على الموت ، باعتبار ان ظاهرة التورم اللغوي هذه هي من صفات اللغات الميتة ... يجعلنا نقف عندها لشرح اسباب وجودها وتحديد ما هو فيها ، وماهو زائد ، يتطلب تبيان وجوه المغالطة فيه ، وهو ما يهمنا بالدرجة الاولى هنا .

وعن شرح اسباب كثرة المفردات في اللغة العربية ، يقول احد اكبر اللغويين العرب ، وهو جلال الدين السيوطي ، ان لوقوع الالفاظ المترادفة سببين ، احدهما ان يكون من واضِعَين (وهو الاكثر) بأن تضع احدى القبيلتين احد الاسمين ، والاخرى الاسم الاخر للمسمى الواحد ، من غير ان تشعر احداهما بالاخر ، ثم يشتهر الوضعان ويختفي الواضعان، او يلتبس وضع احدهما بالاخر

، وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية... والثاني ان يكون من وضع واحد(على الاقل) وله فوائد منها ان تكثر الطرق الى الاخبار عما في النفس، ومنها التوسع في سلوك طرق الفصاحة واساليب البلاغة في الشعر والنثر [6] .

ويؤكد هذ الشرح العربي القديم احد المستشرقين المتأخرين ، وهو(اسرائيل ولفنسون) بقوله : " ان اللغة العربية الباقية هي مزيد من لهجات مختلفة بعضها من شمال الجزيرة ، وهو الاغلب ، وبعضها من جنوب البلاد ، واختلطت كلها بعضها ببعض ، حتى صارت لغة واحدة ، وكانت اللهجات القديمة مختلفة في كثير من مادتها اللغوية ، ولا سيما في كيفية نطق الكلمات المشتركة . فلما اجتمعت هذه اللهجات وامتزجت وصارت لغة متباينة ، مثل كلمة (نَجْم) فأننا نقول في جمعها : (أنْجُم ونُجُم وأنْجَام) ، وكلها بمعنى واحد ، ومثل كلمة (أسد) نقول في جمعها : (أسُودّ وأَسُد وآسادُ) ، وهذه الامثلة تدل على انها كانت صيغاً مختلفة لكلمة واحدة تستعمل في قبيلة صيغة واحدة منها، فلما جمعت المفردات والصيغ العربية في معاجم الكتب بعد الاسلام ، اجتهد اللغويون والادباء في تخصيص كل صيغة بمعنى خاص[7] . ونخرج من هنا بحقيقة هامة، وهي ان كثرة المفردات في اللغة العربية هي عيب من ناحية تسليمنا بأن بعض المترادفات لا تحمل اكثر من معنى بذاته..) ولكن ما يغيب عن الكثيرين هو ان المئات من المفردات المترادفة التي يظن غير المتمكنين من هذه اللغة ، بأنها مترادفات لا معنى لها ، هي في الحقيقة تحمل دلالات في غاية الدقة يندر وجود مثيل لها في اللغات الحية الاخرى ، ومن هذا الجانب تعتبر تلك الكثرة من مفاخر العربية ومن محاسنها ، ولسيت من المساوئ والعيوب بأية حال من الاحوال ، وهنا يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود .

ومن أمثلة ذلك اننا نجد مجموعة من الالفاظ تدل كلها في ظاهرها على معنى واحد ، وهي متقاربة حتى في النطق وعدد الحروف مثل (لَدَمَ) و (لَطَمَ) و (لكَمَ) ، ولكن عند تحري الدقة نجد جميع المترادفات مختلفة الدلالة في نوعية الضرب ، فلَدَم : تعني الضرب بشيئ ثقيل يسمع صوته ، ولطم : تعني الضرب على الخد، ولَكَم: تعني الضرب باليد مجموعة الاصابع ، ولَحَمَ تعني (الضرب المعنوي) ، اي الاضرار بالفرد ونيله بمكروه .

ومفردات اخرى تدل على الحال ، ونعتقد انها مترادفات ذات مدلول واحد ، في حين انها مختلفة في غاية الدقة ، ومثال ذلك : الكَمَدُ – البَثُ – الكَرْبُ – الأسَى – الوُجُوم – الأسف – الكآبة، كل هذه الالفاظ تعطي انطباعاً عاماً للسامع انها تعني معنى واحداً، في حين ان الكَمَد:

حزن لا يطاق، والبَثُّ: يعني الحزن الشديد والكَرْبُ: يعني الغم الذي يأخذ بالنفس، والأسَى: يعني الحزن على الشيئ الفائت ، والوجوم : هو الحزن الذي يسكت صاحبه ، والاسف : هو الحزن مع الغضب والكآبة : هي سوء الحال والانكسار مع الحزن[8] .

فكل مجموعة من هذه الالفاظ يعتبرها الكثير مترادفات ، في حين ان لها دلالات دقيقة تجعلها تختلف عن بعضها البعض، بحيث لا يمكن لاية لفظة ان تعوض الاخرى دون ان يتغير المعنى[9].

اما ما يعيبه البعض على اللغة العربية من ان للسيف فيها ، او للاسد او للعسل اسماء لاتحصى عدداً ... فأنه رغم تسليمنا بهذه الحقيقة ، الا انه يجب التنبيه الى ان معظم تلك الاسماء هي صفات للاسد او للسيف استخدمت مقام الاسماء كـ: الصارم ، الرواء والخليل وذو الكريهة، والحسام، والهنداوي، والمهند، والصقيل، والابيض للسيف.. والحارث، وحمزة ، والقشعم ، والضيغم ، للاسد ... والضرب ، والذوب ، والشهد ، والنسيل ، والسلوان ، والمزج للعسل [10] .

وهكذا نلاحظ ان اتهام اللغة العربية بالتضخم في المفردات والمترادفات التي يقال بانها لا معنى لها ، هو في الحقيقة ، وفي كثير من الاحيان ، امر " مضخم " قصداً لا يعبر عن حقيقة موضوعية اكثر مما يدل على جهلنا بدقائق هذه اللغة ذات الدلالات المتناهية في الدقة ، كما حاولنا ان نبين بالأمثلة السابقة .

ب- الفقر في المصطلحات العلمية

ان المشكلة الثانية التي تواجه اللغة العربية في الوقت الحاضر هي فقرها (الملاحظ) في المصطلحات العلمية المعبرة عن مختلف مجالات الحضارة العصرية ومخترعاتها الصناعية التي تخرج الى عالمنا في كل حين بالعشرات والمئات ... ومن ثم يقفز بعضهم الى اتهام العربية بالعجز في هذا الخصوص مع المطالبة باستعاضة عنها باللغات العصرية التي اخترعت بها هذه المبتكرات الجديدة .. والحقيقة ان عدم تناسب المفردات العربية الادبية مع مفرداتها العلمية والتكنلوجية .. لا يمكن ان يرجعه اي عاقل الى عجز اللغة العربية اكثر مما يجب ان يرجع الى عجز اهلها ، وهي فيّ ذلك براء .

ان اللغة في مثل هذه الحال ليست الا اداة عاكسة متأثرة بما لدى الناطقين بها من مستوى حضاري وتقدم صناعي وتقني .. ويكفي دليلاً على ذلك ان اللغة العربية لم تعجز عن التعبير عن الجوانب العلمية المختلفة للحضارة التي شيدها العرب في عهد نهضتهم السالفة الذكر ، وقد وجد العرب في لغتهم عندما كانوا روادا حقاً في الاكتشاف والاختراع واعمال العقل في الارض والسماء

، وجدوا طواعية فائقة في التعبير عن اي شيئ اخترعوه او اكتشفوه في عالم الانسان والكون ، ولا شك ان اية لغة تغنى بغناء اصحابها وتتقدم بتقدمهم وتتطور بتطورهم ، ويؤكد هذه الحقيقة العلمية والمنطقية احد كبار علماء اللغة وهو (جورج فاندريس) بقوله : (اننا لا نعلم اطلاقاً لغة قصرت عن خدمة انسان عنده فكرة يريد التعبير عنها ، فلا ننصت الى اولئك المؤلفين العاجزين الذين يحملون لغاتهم مسؤولية النقص الذي في مؤلفاتهم لانهم هم المسؤولون ، على وجه العموم عن هذا النقص) [11] .

وعندما نسلم بقلة المصطلحات المعبرة عن المخترعات العصرية في اللغة العربية للاسباب المذكورة آنفاً ، فذلك لا يعني تأكيد الدعوة المغرضة من هؤلاء المتربصين بوحدتنا وجوهر حضارتنا ... الى التخلي عن هذه اللغة الى لغاتهم التي يحلو لهم ان يصفوها بالعملية والعصرية والحضارية ، في الوقت الذي يشهدون هم انفسهم في بعض كتابات علمائهم بانهم عاشوا قروناً من الزمن عالة على فئات مائدة اللغة العربية في دمشق وبغداد وقرطبة وبجاية والقيروان وفاس والقاهرة .

وما نريده هنا فقط هو التنبيه الى هذه المغالطة وتحديد مسؤولية العجز في الناطقين باللغة وليس في اللغة ذاتها بأية صورة من الصور ، كما انه لا يمكن ان يقال ان العربية هي التي تحمل بذور العجز وعدم مسايرة العصر كما يدعون ، وحجتنا الملموسة والدامغة على ذلك ان هذه اللغة عبَّرت (كما يشهد بذلك الخصوم أنفسهم) عن أرقى الأمور الحضارية في عصرنا الزاهر قبل الان ، وحتى في الوقت الحاضر نجد انه قد مرّ على إنشاء الكليات العلمية في الجامعات العربية بسوريا الشقيقة أكثرمن ستين سنة وهي ما تزال ثابتة تبعث على الفخر والاعتزاز لدى كل عربي ومسلم ، بتدريس جميع الفروع العلمية والاختصاصات الدقيقة باللغة العربية وحدها ، وتبرهن علمياً وعملياً لكل ذي بصر وبصيرة على ان اللغة العربية هي على الأقل مثل سائر اللغات، لا تعجز عن مجاراة ومضاهاة اللغات العالمية الاخرى في تطورها للتعبير عن جميع المستتجدات العلمية في الطب والهندسة وما إلى ذلك .. اذا تعهدها الناطقون بها واخلصوا لها ، ويكفي هذا المثال العربي الحي دليلاً على انه لا يعقل ابداً انُ تَحمَّل اللغة العربية مسؤولية الضعف الحاصل لها في مجال المصطلحات العلمية ، او أن تحمل مسؤولية تأخر العرب في المجال العلمي والتقني والحضاري بصفة عامة .. وذلك لسبب بسيط وهو ان العرب سبق لهم ان تقدموا حضارياً ، وبهذه اللغة وحدها (كما اسلفنا) ، وهي موجودة وحاضرة دائماً كلغة دين ساهمت في استيعاب ذلك التقدم

ونقلته وحافظت عليه ، ولما تأخروا وتجمدوا و" تحنطوا " بعد ذلك لا تملك هذه اللغة او اية لغة اخرى (باعتبار ان اللغة منتوج اجتماعي ، تابع ومتأثر ، اكثر مما هو متبوع ومؤثر) الا ان تقف، كالظل حيث وقف العرب ، بدليل انها ان وقفت (كما هو ملاحظ مع كثير من التجاوز) في مجال العلم والاختراع ، فهي لم تقف في مجال الشعر والادب عموماً ، لان العرب وقفوا و" تحنطوا " او "حُنِّطوا " في المجال الاول ، وواصلوا العطاء النسبي في المجال الثاني ، ولعل هذا ما يستوجب ان تكون الخطوة الاولى نحو الازدهار الحضاري والعلمي للغة العربية في مجال الاكتشاف والاختراع والابتكار .... هي التي يبدأها العرب انفسهم كما فعل اسلافهم في السابق ،وكما فعل اعداؤهم الحضاريون بعد ذلك من الناطقين باللغات المسماة علمية وحية في الوقت الحاضر ، لان اصحابها تقدموا فقدموا لغاتهم ، ومكنوا لها سبل الانتشار والسيادة في العالم (عن طريق الغزو والاحتلال في غالب الاحيان) ، والعرب لا يزالون غارقين (الا من رحم ربك من العلماء والطلائع المبعدة غالباً عن مراكز اتخاذ القرار لاصلاح المسار ...) في الجدل العقيم عن اولوية الوجود بين البيضة والدجاجة ، اي بين اللغة والتقدم التكنلوجي او العصرنة كما يحلو لهم ان يسموها ، واعتقد هنا ان العلاقة بين اللغة والتقدم هي علاقة وظيفة تكاملية ، على ان تكون الخطوة الاولى والمبادرة الاساسية للانسان دائماً قبل اللسان ، وللحدث قبل الحديث ، وللفعل قبل المفعول ، وللزواج قبل الوليد ، وللوليد قبل التسمية ..

فكيف يستقيم الظل والعود اعوج ؟ كيف ننتظر ان تزدهر اللغة العربية وتكثر مفرداتها في المجال العلمي مثلما هي مزدهرة في المجال الادبي ، ونحن نستهلك ولا ننتج ، نقلد ولا نبدع ، نتأثر ولا نؤثر ، نشتري بالمال ولا نقايض بالاعمال . الحضارات في لدول المتقدمة تلد ونحن نتسابق مع الزمن لنجد الاسماء للمواليد ، ويالیتنا تمكنا من القيام بهذه المهمة على الوجه الاكمل ، وهو كفيل باثراء اللغة العربية وتمكينها من الدفاع عن نفسها ضد التهم الباطلة الموجهة اليها ، غير ان ما نلاحظه هو التقصير حتى في اعطاء الاسماء للمسميات ناهيك عن اختراع الاشياء وصنع الآلات .

ثم ان تمكنت المجامع العربية من ايجاد الاسماء ، فهي في واد وواقع الممارسة العربية في التعليم والصحافة والسياسة والدبلوماسية ..لتلك الاسماء المعربة في واد آخر.

فمن اخطر التحديات (المجانية) التي تواجه اللغة العربية (كما ذكرنا) هو عدم تبنيها كلغة أساسية ووحيدة في جميع مراحل التعليم وجميع فروعه العلمية والادبية ، وليس من المبالغة ان

نقول بأنه لم تظلم لغة في التاريخ من طرف المحسوبين على النطق بها كما ظلمت اللغة العربية في العصر الحاضر ؟ .

اليست جريمة نكراء يرتكبها هؤلاء القادرون (المتخاذلون) في حق اللغة العربية، اللغة السادسة الرسمية في الهيئات الدولية ولغة ثلاثمائة مليون عربي (في الجغرافيا على الاقل) ، واكثر من اربعة اضعاف هذا العدد من المسلمين المتعاطفين مع هذه اللغة في كل ارجاء المعمورة ... عندما نعلم ان اصغر دولة تحترم شخصيتها وعلمها الوطني على وجه الارض (...) تدرس جميع العلوم في جامعاتها باللغة الوطنية الخاصة بها والمثبتة في دستورها . في الوقت الذي نجد بعض من وضعته الاقدار على رأس الاقطار المحسوبة على النطق باللغة العربية في جامعة دولها ، يصرون على تدريس المواد العلمية في جامعات أقطارها باللغات الأجنبية التي يصفونها " بالحية " دون اي خجل او عمل على الاقتداء بالجامعات العربية الرائدة في هذا المجال ودعمها او تشجيعها على الاقل بالأموال أو حتى الأقوال .

ان اغلب الحكومات العربية (في أحسن الأحوال) تنتظر من المجامع والهيئات العلمية القيام بمهمة تطوير اللغة العربية ، ولا يظهر انها تشعر بضرورة القيام بشيئ آخر ، والواقع ان عمل العلماء ، لا يمكن ان يأتي بنتائج حاسمة في هذا المجال ، كما في المجالات الاخرى الإ اذا قامت السلطة السياسية في كل بلد برسم الطريق او على الاقل بازالة بعض المتناقضات الصارخة التي ظلت تواكب السياسة اللغوية في معظم الاقطار العربية منذ عشرات السنين ...

فحرمان مفردات اللغة العربية (المعتمدة في المجامع اللغوية العربية) من الاستعمال في ميدانها الاجتماعي والسياسي والاعلامي والعلمي ...هو قضاء عليها وقضاء على جهود المجامع ذاتها .

وقد حان الوقت لتصحيح هذا الخطأ الاستراتيجي القاتل في سياستنا اللغوية ، ونبذ الفكرة القائلة بتاجيل استعمال اللغة العربية في تدريس العلوم واجترار عبارة :(حتى تتأهل لذلك ...) وهذا معناه ان اللغة العربية التي اصابها القصور الملاحظ (بشهادتهم انفسهم) ببعدها عن مواكبة العلم سوف يستقيم امرها اذا بقيت بعيدة عنه لعشرات من السنين او القرون الاخرى .

وهنا اسمح لنفسي ان استعير مأثور الامام محمد عبده القائلة بأن : (بعض المسلمين اصبحوا حجة على الاسلام) للقول بأن بعض العرب اصبحوا حجة على العربية ، وهذا ما يجعلنا نلحّ في النداء هنا بضرورة الاسراع بتطبيق قرارات المجامع اللغوية وخاصة مجمع القاهرة في

الدورة الـ44 الخاصة بتعريب جميع الفروع العربية بالجامعات العربية ، ولا نعتقد ان تحقيق ذلك يكلف الدول العربية في هذا الموضوع المصيري (كما بيّنا) غير استجلاب الكتب والمناهج العلمية المؤلفة والمترجمة في سوريا وروسيا حول محتلف التخصصات العلمية (كما ذكرنا) من الكهرباء الى الذرة ، ومن البيطرة الى جراحة الاعصاب بأشعة الليزر ؟ .

ج- المنافسة للفصحى

والى جانب منافسة اللغة العربية باللغات الاجنبية على الصعيد الجامعي ، والبحث العلمي والحضاري ، توجد منافسة اخرى للغة العربية على الصعيد العملي والادبي والاعلامي من قبل اللهجات العامية ، وهذه المشكلة لا تقل خطورة على اللغة العربية الفصحى ، في تحطيمها من الداخل، اذا لم يحرص العرب على ايقاف اللهجات العامية عند الحد الذي يجب الا تتعداه حتى لا يتجاوز الشيئ حده فينقلب الى ضده.

فوجود اللهجات العامية في اللغات العالمية ليس مضراً في ذاته كما نرى، وهو عفوي، ويعبر عن جانب من جوانب الكائن الناطق، الا ان الواجب يحتم علينا ان نضع كل شيئ في مكانه، ولا نحمله اكثر مما يستطيع ، فنحل العامية محل الفصحى ، والفصحى قوامها القواعد والصواب ، والتركيب النطقي في جملها . فهي وجدت لضرورة التفكير ، والعامية وجدت لضرورة التعبير السريع اليومي التلقائي العاطفي . ومن هنا كان لكل شق من التعبير الفصيح او العامي دور ووظيفة يؤديها خير اداء ، ولكن الداء في محاولة احلال العامية محل الفصحى ، وليس العكس . فهل يمكن ان نلغي الفاعل من النحو ؟ فالقضية ليست اجماعاً بين العلماء فحسب ، وانما هي قوام في العقل ، فرض نفسه بقوة ، وهو الذي فرض وجود مقاييس اللغة ، المتمثلة في القواعد النحوية ، كما يقول ابن خلدون : (...) .

فالثنائية التي نلاحظها وهي مسألة طبيعية ، لكن لها حدود يجب ان لاتتعداها . فالعامية لها دور ووظيفة تؤديها الى جانب الفصحى ، ولا ضير من بقائها ملتزمة بوظيفتها ، والفصحى لها دور ضروري في الحياة الاجتماعية الراقية يجب ان تؤدية ولا تؤديه الا اذا بقيت فصحى ، ولا تبقى فصحى بدون نحو وقواعد . والتيسير يكون من الفصحى لخدمة الفصحى ، وليس القضاء عليها وجعلها عامية او استبدال العامية بها ، فهذا هو الخطأ والخطر الذي يهدد الفصحى لخدمة وقتنا الحاضر ، وليس الخطر كامناً في ارتكاب الخطأ اكثر مما هو كامن في التمادي فيه، والدفاع عنه باختلاف اسباب مختلفة ، افطرها عدم فهم القراءة للكتابة الفصيحة والكلام الفصيح في

القصة او الرواية او المسرحية او الجريدة او المحاضرة ، حتى اصبحنا نشاهد (بكل اسف) اساتذة جامعيين يحاضرون في كليات الآداب بالعامية ، فضلاً عن كليات العلوم ، والاخطر من ذلك ان تناقش الرسائل العلمية في بعض الجامعات العربية بالعامية ، اي بلغة غير معقدة في الوقت الذي لا تقبل التعابير المكتوبة من الطالب في الامتحان بالعامية لماذا ؟ لان الاستاذ اذا سهل عليه فهم حديث الطالب بالعامية في المناقشة فيصعب عليه فهم الكتابة بالعامية ، خاصة اذا كان الطالب يكتب بلهجة غير اللهجة المحلية (التي تكتب بها حالياً بعض الخطب الرسمية في الجرائد العربية، كما تلقى من افواه اصحابها) فهذا هو الخطأ والتجاوز المرفوض الذي يجب ان يقاوم ، لان ابعاده وعواقبه ستكون وخيمة على اللغة العربية التي ندعي الاعتزاز بها ولا نعمل على المحافظة عليها، حتى في حالتها الراهنة ، فضلاً عن العمل على تطوير استعمالها الى الاحسن في المؤسسات التعليمية ووسائل الاعلام بصفة خاصة . .

واذا نظرنا الى العامية في الوقت الحاضر نجدها تمثل خطراً كبيراً على اللغة الفصحى كمقوم فكري واجتماعي للمجتمع العربي والامة الاسلامية قاطبة . فهي من جهة لا تصلح نقطة التفاف لابناء العالم العربي ، بسبب اختلافها بين المناطق اختلافاً قد يصل الى صعوبة التفاهم بين افراده (من غير المتعلمين) كلهجات بلاد المغرب العربي ، ولهجات الخليج العربي او الشام مثلاً .

ومن هذا المنطلق اذا اردنا ان نعالج الوضع للتخفيف من اخطاره المذكورة يتعين علينا ان نعمل على تحقيق اقرب لقاء ممكن بين العامية والفصحى، على ان يكون هذا على حساب العامية (الفرع) وليس على حساب الفصحى (الاصل) والعمود الفقري للحضارة العربية الاسلامية والوحدة القومية ايضاً ذلك لان العامية هي التي تختلف من قطر الى قطر ، وليس الفصحى التي اثبتت حتى الان بانها هي نقطة التفاف الافراد ، في هذه الاقطار المعبر عن مجموعها ، بالعالم العربي ، والامة العربية ؟

على اننا اذا اردنا ان ننهج نهجاً عملياً في تقريب الهوة بين العامية والفصحى وتعميم الفصحى كلغة الحديث بين الطبقات المثقفة (على الاقل) لا نقبل من المتحدث بالفصحى ان يستعمل في حديثه من الالفاظ والتعبيرات ما نجده محشواً في بطون كتب الادب العربي القديمة ودواوين الشعر الجاهلي ... مما كان ينتقيه الاديب لاظهار وجوه الابداع اللفظي والبياني ، وليبرز المعنى الذي يريده بشكل هو في الواقع اخراج فني ، وانما يجب على المثقف الحالي الذي يعيش في عصر السرعة والتطور هو ان يفرق في تعابيره بين لغة الادب التي هي فن وابداع ، ولغة

الحديث اليومي العادي ، ذلك انه اذا كانت لغة الادب تحتاج الى محسنات جمالية لتظهر في شكل فني مطلوب فان اللغة الفصحى المطلوبة للكلام والتعبير العادي ، يجب ان يكون عمادها الاول والاخير هو البساطة واليسر، والجدير بالذكر ان المعمول به في سائر البلدان التي نجحت في التوحيد بين لغة الادب المنمقة (وهي لغة الكتابة الفنية) ولغة الحديث المبسطة والتي هي في نفس الوقت لغة الكتابة العادية ، هو التبسيط والتعريب ، ونعتقد ان العرب لو ساروا على هذه الطريقة بجد واخلاص ووعي ، لوصلوا قبل مضي زمن طويل الى تحقيق اسلوب عربي مبسط في الحديث يصلح ان يكون اسلوب كتابة وحديث في آن واحد دون اي تعثر (مثلما هو شأن لغة الصحافة المكتوبة والمنطوقة في معظم اقطار العالم العربي) . وقد اثبتت السنوات الاخيرة ان ابناء العالم العربي على استعداد لتقبل هذا الاسلوب اذا تعودوه لمدة كافية ، وخير مثال لذلك هو اللغة الفصحى المستعملة يومياً في المدارس والجامعات مع المتعلمين ، ولغة الاحاديث والنشرات الاخبارية والبرامج الاذاعية التي تتوخى البساطة الى حد كبير ، والتي بامكانها ان تكون صلة وصل ناجحة بين لغة الجامعة والجامع ، ولغة المعمل والشارع ، وبذلك نسير في طريق التوحيد او التقريب بين الفصحى والعامية ، والقضاء على هذه الثنائية المستفحلة في غياب الوعي القومي لدى بعض المثقفين العرب والقائمين على شؤون التوجيه والتربية والتعليم والاعلام .

والخلاصة انه لا خوف على اللغة الفصحى من العامية ولا خوف من الفصحى على العامية ، اذا لزمت كل واحدة منها حدودها ووظيفتها الميسرة لها . اما الخطر – كل الخطر – فهو ان تتقمص العامية شخصية الفصحى فتضيع العامية والفصحى كلاهما معاً ، ولا نجد مثالاً اوضح مما قاله الجاحظ حول هذا المعنى (متى سمعت – حفظك الله – بنادرة من كلام العرب فاياك وان تحكيها الا مع اعرابها ومخارج الفاظها ، فأنك ان غيرتها بأن تلحن في اعرابها واخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت عن تلك الحكاية ، وعليك فضل كبير وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوامّ وملحة من ملح الحشوة والفطام ، فإياك وان تستعمل فيها الاعراب وان تتخيل لها لفظاً حسناً اوتجعل لها من فيك مخرجاً سرياً فخماً شريفاً ، فإن ذ لك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي اريدت له ويُذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها)[12] .

وإذا كانت الفصحى تتميز بسموها الرفيع الذي جعلها تحتاج الى لغة مساعدة على صعيد العمل ، فأن الاستاذ كمال الحاج يلخص لنا ذلك بقوله : (نحن نقول بأن العامية فصيلة لسانية قائمة بذاتها ، هي لنوع خاص من حياة الوجدان ، لها نظامها الصوتي والتركيبي ، لها مفرداتها

واقتباساتها وقياساتها أيضاً ، ونقول في الوقت ذاته بأن الفصحى فصيلة لسانية قائمة بذاتها ، هي لنوع خاص من حياة الوجدان لها نظامها الصوتي والتركيبي . ومن الخطأ جداً ان يرجع إحداها الى الثانية . هما فصيلتان من لغة واحدة ، مثلهما مثل ثنائية الجنس والعقل من الانسان الواحد ، هذه الثنائية تخلق نوعاً من التوازن في اللطيفة. هكذا العامية والفصحى) [13] .

وقد قال في ذلك احد المعجميين العرب : (من النقائض التي تنسب للغة العربية ما يسمى بالازدواجية ، وهي أن الشخص العربي يتكلم لغة ويكتب لغة أخرى ...هذا صحيح ، ولكن في هذا الادعاء مبالغة ومغالطة ، وذلك لأن الفرق بين العامية والفصحى ليس بهذه الدرجة حتى يسمى كل ما نتخاطب به ومانكتبه لغة ، بل باستثناء الإعراب وبعض المفردات فهما لغة واحدة . وكل لغات الدنيا تتسم بهذه الفوارق ، فهل العامية في فرنسا مثلاً ولغة الكتابة ليس بينهما بون لا يقل عما بين لهجاتنامن جهة وبين لغتنا الفصحى من جهة أخرى ، بل أرى الفرق بين ما يتكلمه عمال ضاحية باريس ، ولغة الشاعر (بول فاليري) يفوق بمراحل الفرق بين ما يتكلمه العامل الجزائري وما ينظمه من شعر الشاعر (مفدي زكريا) .. على ان هناك لغة علمية راقية وهي الالمانية تحتوي على اعراب معقد يتسلط حتى على اداة التعريف .... تستعمل الفصحى للكتابة ، وهي التي توحد بين مختلف اجزاء البلاد الجرمانية ، وهي في هذا تماماً مثل العربية... ولم يمنع ذلك من ان اللغة الالمانية من اهم لغات العلم والأدب والفلسفة) [14] .

ويرى الاستاذ محمد الفاسي ان الحل لهذه المشكلة ممكن بالنسبة للغة العربية اذا سارت في طريق اللغة الالمانية ، وتوفرت لها الوسائل التي وفرت للغة الالمانية، لكي تكون لغة الكتابة ، واللغة الرسمية المشتركة بين جميع الألمان في كل البلاد الأوربية،وبصفة أخص النمسا وسويسرا، فيقول : (فالمسألة في هذه المشكلة هي مسألة تعليم فقط ، فلو لم يكن التعليم عاماً بالبلاد الألمانية لكان لهم مشكل من هذا النوع ، ولكن حيث ان كل فرد من مجموع الاقطار التي لغتها جرمانية يحسن الألمانية الفصحى ، فأنه يقرأ كل ما يكتب أو يلقى في الأذاعة والتلفزة ولا يحس بنقص ، ولا ينسب للغتهم عجز عندما يبرز هذا الفرق بسبب الأمية المتفشية في بلادنا ، فالذي لا يحسن العربية الفصحى لا يمكنه ان يفهم ما يقرأ ان هو استطاع القراءة ولا ما يسمع ، وعندما يعمّ التعليم تسقط هذه المشكلة من نفسها .... الى ان يقول : وهذا يجرنا الى الكلام عن لغة المسرح . ان من اكبر العوامل الضارة باللغة العربية وبمستقبلها ، وحتى بمستقبل الوحدة العربية ، استعمال اللهجات المحلية في السينما والمسرح وفي الاذاعة والتلفزة ، إذ لا يجمع بين البلاد

العربية الإ لغة القرآن ، والعدول عنها الى اللهجات المحلية هو فصم لهذه الوحدة ، وقد قال الدكتور طه حسين (رحمه الله) :(اللذين ينادون بإحلال العامية لسهولتها محل الفصحى لصعوبتها ، هم أشبه بمن ينادون بتعميم الجهل لأنه سهل،وإلغاء العلم لأنه صعب المنال) [15] .

ورأينا في هذا الموضوع يتمثل في أن وجود الفصحى الى جانب اللهجات المحلية أمر طبيعي وغير خطير في ذاته ويمكن القضاء على جوانبه السلبية المذكورة بالوعي ، والابتعاد عن الاقليميات والحساسيات الجهوية الضيقة والمدمرة ، في عصر يعمل فيه الواعون على اصطناع كل عامل من شأنه ان يجمع بين الشعوب والدول في معسكرات واحدة وقوة واحدة ، ونحن عندنا عوامل طبيعية قوية وفي مقدمتها هذه الهبة السماوية (اللغة العربية) ، فليس اقل ما يجب علينا القيام به هو الحفاظ على ما هو موجود منها وذلك اضعف الايمان ، واننا اذ نرفض رفضاً مطلقاً وقاطعاً إحلال اللهجات العامية محل الفصحى في الحاضر وفي المستقبل لكل الاعتبارات المذكورة ... فإن إحلال الفصحى محل العامية في اقطارنا العربية ، وان كان صعباً فهو أمر مرغوب فيه ، وممكن الحصول عليه بالارادة القوية والنيات الحسنة وصدق العزائم على الارتفاع بالقوم الى مستوى هذه اللغة وليس النزول بهذه اللغة الى مستوياتهم الدونية (بكل ما تحمل هذه العبارة من معانٍ) ومن سخريات القدر ان الكثير من الذين ينادون بتدريج الفصحى ، بحجة عدم فهم العوام لها ، هم انفسهم الذين يتفصحون باللغات الاجنية (الانكليزية والفرنسية) على شعوبهم في اجهزة اعلامهم الرسمية والشعبية ، وكأن هذه الشعوب العربية المسلمة تفهم الفرنسية والانكليزية أكثر مما تفهم لغة القرآن التي يستمتعون اليها ويمارسونها في نسبة عالية منهم أثناء تأدية الصلاة ؟

واقع استعمال اللغة العربية وطرق ترقيتها في مجال الإعلام والصحافة والمحيط الاجتماعي والثقافي بصفة عامة :-

ان اللغة هي فن جميل تعكس في الفاظها وتراكيبها وتشبيهاتها ومعانيها خصائص الامم ومقوماتها التي تظهر عادة في ابداعات كتابها ، وفي تحليلات صحافييها ، وفي برامج اجهزة الاعلام والثقافة فيها ، وهي في الواقع كالموسيقى وباقي الفنون الجميلة ، ملك لكافة افراد الامة ، ووليدة عبقرية أجيالها ، خلفاً عن سلف (كما سبقت الإشارة الى ذلك في المقدمة) .

فالافراد عادة لا يستسيغون ولا يستعملون من الالفاظ الا ما يناسب أمزجتهم ويلائم روحهم ، وخصوصاً إذا كانت هذه الألفاظ موضوعة لاستعمالها في حياتهم اليومية المألوفة ، وفي تفاهم

بعضهم مع بعض ، لذلك تختلف المصلحات الصناعية والتكنلوجية عن غيرها من المصطلخات الاخرى ، لأن الأولى يستعملها – علمياً ولغوياً – الى جانب الخاصة من المهندسين والمثقفين ، جمهور من الصناع والعمال من عامة افراد المجتمع ، في حين يقتصر – الى حد ما – استعمال الالفاظ العلمية البحتة على الخاصة من العلماء والباحثين ، ومن هنا فإن أي استعمال للغة العربية على نطاق إعلامي وجماهيري واسع لا ينظر فيه الى ذوق من هو موجه إليهم ويراعي ميولهم وطبيعتهم سوف لا يجد للألفاظ الصعبة المستعملة في عملية توصيل المعاني اليهم أذناً صاغية ولا لساناً مستعملاً .

وعليه فأن الاستعمال الأحسن للغة العربية في مجال التعليم المتخصص في الجامعات والمعاهد العلمية والتقنية يختلف عنه في الأداب والفنون والصحافة وأجهزة الإعلام بصفة عامة ، ذلك ان رجال العلم والبحث في الجامعات والمراكز المتخصصة، مقيدون دوماً بما في العلوم من تحديد وتدقيق وقوانين تجعل مجالهم اللغوي ضيقاً جداً، فيما يتعلق باستعمال المجاز والتشبيه وغيره من المحسنات اللفظية والبلاغة ، بحكم أن المصطلحات موضوعة أصلاً لتحديد المسميات المادية تحديداً دقيقاً كدقة الاعمال الآلية، ودقة العلم والتكنلوجيا التي تضع كل الحدود لخيالات الأدباء والفنانين والصحافيين في جميع أجهزة الإعلام ، الذين يتناولون اخلاق الناس وأذواقهم وطرق معيشتهم ، فيصورون بالالفاظ والجمل ما يحسنون او يتخيلون ان الناس يحسون به .

فالاديب والفنان والكاتب الصحافي والمخرج السينمائي او الاذاعي ، وما الى ذلك، يكون في هذه الحالة بمثابة المصور البارع الذي يطلق لريشته العنان ، كي تخط او تصور ما ينعكس على مخيلته من افكار وصور ، فيطوع الألفاظ ويركبها ويمزجها مزجاً له معان مبتكرة بطلاقة وحرية ، تعكس إحساساته للأشياء المادية والمعنوية على حد سواء بما يقترب كثيراً من إحساسات القارئ او المشاهد من افراد المجتمع الموجه اليه ذلك الخطاب (....) .

ومن هنا يجب على الاديب والكاتب الصحفي الذي يتعامل مع أكبر عدد ممكن من الناس العاديين في المجتمع أن تتسم لغته بالمرونة والفصاحة ، لتتمكن من التعبير عن تلك المعنويات المختلفة ، وليستعرض ما في اللغة العربية وتركيباتها من ذوق وجمال وموسيقى ودقة وتشوق ، لجذب اهتمام القارئ او السامع والتأثير فيه ، ولذلك وجدنا ان استعمال اللغة العربية في الآداب والفنون والاعلام بصفة عامة يتطلب معرفة واسعة وجّيدة باللغة العربية .... .

ولذلك فإن المرحلة الحضارية الراهنة للعالم العربي التي تتميز بكثرة القنوات الفضائية التي تبثّ برامجها المختلفة باللغة العربية ، وتوحد استعمال هذه اللغة بين الافراد في كل الاقطار الناطقة بها بكيفية لم يسبق لها مثيل من قبل ... إن ذلك يقتضي من ولاة الأمور حفز همم رجال الأدب والفن والفكر والإبداع اللفظي عموماً وتشجيعهم على إنتاج الروائع والمأثورات المبسطة والجميلة باللغة العربية الفصحى ، لسد حاجات القراء والمشاهدين العرب لتلك البرامج المختلفة المعروضة عليهم في كل حين ، وبذلك فقط يمكن جعلهم يستغنون عمّا يبدعه الاجانب ، ويثونه بلغاتهم القومية في فضائياتهم القارية .

ولكن الواقع المؤسف في هذا المجال هو عكس المرغوب ، كما يصفه لنا أحد أصحاب الاختصاص وهو الاستاذ فهمي هويدي بقوله : (ثورة الاتصال واتساع نطاق البث المباشر عبر الاقمار الصناعية ، جعلت الارسال التليفزيوني يخترق الحدود والجدران ، ويصل الى غرف النوم في أي مكان بالعالم ... بحيث أصبح الاطفال قادرين على متابعة كل ما يجري في انحاء الكرة الارضية ، بمجرد الضغط على الازرار داخل البيوت ، ولأن التليفزيون الأمريكي هو الانجح والأكثر إبهاراً ، فقد كان طبيعياً ان يغدو أقوى تأثيراً ، في اللغة والعادات بوجه أخص . وإذا كانت دولة كفرنسا قد شكت مما اسمته " بالغزو الثقافي الامبريالي " وهي جزء أصيل من الغرب ، فلك ان تتصور صدى مثل ذلك الغزو في مجتمعاتنا بعد الذي أصابها من هشاشة وضعف في بنيتها الثقافية وانتمائها الحضاري . [16]

واذا كانت متطلبات استعمال اللغة العربية في مجال العلوم والتكنلوجيا والآداب والعلوم الانسانية عموماً تتمثل في وضع المصطلحات الجديدة للمخترعات وتزويد المجامع اللغوية بها لاقرارها ، ووضع القواميس لها ، فأن اجهزة الاعلام هي وحدها التي يقع عليها عبء نشر وممارسة واخراج تلك المصطلحات من رفوف ومخازن المجامع اللغوية الى الناس في الحياة العلمية ، وهو نهاية المطاف وحجر الزاوية في عملية استعمال اللغة العربية السليم والواسع ، ويتميز الاستعمال اللغوي في مجال الاعلام بخاصية مزدوجة ينفرد بها هذا القطاع وحده تقريباً ما دون القطاعات الاخرى ، وهو ان علاقته باللغة هي علاقة وظيفة متبادلة ذات تأثير في الحين ذاته ، اي ان اجهزة الاعلام تستعمل اللغة للقيام بمهمتها ونبليغ رسالتها ، وكلما كان استعمال اللغة راقياً وسليماً ومشرقاً، والمحتوى جيّداً كانت تلك المهمة الاعلامية والرسالة التبليغية ناجحة ، وبالقدر نفسه كذلك تستفيد اللغة المبلغ بها في ترقيتها وتنقيتها ونشرها على اوسع نطاق ممكن

بواسطة اجهزة الاعلام المتطورة التي توصلها في لمح البصر الى اية بقعة على وجه الارض وحتى في السماء .

وفي هذا الخصوص يقول الدكتور ابراهيم مذكور رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة : (ولا يفوتني ان اشير الى ان النهوض بالغة ليس مقصوراً على المجامع وحدها ، بل هو قبل كل شيئ من صنع الكتّاب والأدباء والعلماء والباحثين ورجال الثقافة والاعلام) . [17]

واذا لم يكن من المطلوب من رجال الاعلام والصحافة ان يصطنعوا الجديد من الالفاظ بالنقل او التوليد او التعريب او النحت والتركيب ... فلا اقل من ان يطلب منهم التنسيق مع رجال المعاجم والمجامع اللغوية ، لأخذ ما توصل اليه هؤلاء المتخصصون من اجماع حول اعتماد المفردات اللغوية الجديدة ، والعمل على غرسها في ملكات العامة ، بالاسلوب المناسب المذكور ، لما يتوفر عليه رجال الاعلام والصحافة من وسائل واجهزة فعالة وخطيرة في مجال الاتصال كما قلنا .

ولئن وجد المتكاسلون و"المستغربون " العرب الحجة لاستعمال المفردات والمصطلحات العلمية والتكنلوجية الاجنبية ، بدعوى عدم تمكن مجامعنا اللغوية من ملاحقة ما تمطرنا به مخابرهم ومصانعهم في كل يوم من المخترعات ..لاعطاء الاسماء العربية لتلك التسميات الاجنبية الجديدة ... فما هي حجتهم في عدم استعمال ما هو معتمد في المجامع العربية منذ عقود ؟ لذلك فمهمة الاعلام العربي اذا هنا حيوية للغاية ، اذ يتوقف عليه نشر وتعويد الاسماع والالسن والاذواق العربية على استعمال تلك الكلمات الفصيحة التي اجتهد في ايجادها مئات "الخالدين" في عشرات السنين ... فضلاً عن ضرورة التعاون مع رجال المجامع الحاليين في امدادهم بالمفردات المستجدة التي تكون اكثر استساغة لدى العامة من الناس لاحتكاكهم بالحس العام (كما ذكرنا).

وهذا الحكم العام على بعض الاعلاميين العرب وما ينبغي ان يقدموا به في كل مجالات نشاطهم،لا يجعلنا ننكر جهود العديد من الصحافيين الممتازين الذين يساعدون يومياً على ترقية اللغة العربية واثرائها ، باخراج المفردات الحضارية الجديدة من مخازن ورفوف المجامع الى المقاهي والشوارع ، فيما يكتبون للعامة من اخبار، ويسجلون من وقائع في مختلف مجالات الحياة العصرية..وكذلك بتوليد ما لم يكن موجوداً في المجامع من هذه المفردات ، وصياغتها في اسلوب سهل يسترضي الذوق العام ويمهد لاعتمادها مستقبلاً في دورات المامع المتواصلة، اذ ان اللغة (كما قلنا) هي بنت الحس العام والتداول اليومي في الواقع الاجتماعي ، واذا لم يحمل رجال

الاعلام مسؤولية وضع الالفاظ والمفردات اللغويةواعتمادها بمفردهم ، فانهم مسؤولون مسؤولية كاملة في مشاركة رجال الاعلام مسؤولية وضع الالفاظ والمفردات اللغوية واعتمادها بمفردهم، فانهم مسؤولون مسؤولية كاملة في مشاركة رجال المجامع اللغوية بطريقة غير مباشرة في هذه العملية ، خاصة وان اهل الصحافة عموماً هم لغويون الى حد بعيد ،على عكس رجال العلوم الدقيقة (كما اسلفنا)، ويبقى من تحصيل الحاصل، ومن اضعف الايمان ان يطالبوا بنشر ما هو متفق عليه ومعتمد من قبل المجامع اللغوية من مفردات جديدة في مختلف المجالات المعرفية .

المصادر والهوامش:

1- تاريخ القوميات في اوربا ، الجزء 3 ، ص 213 .
2- ما هي القومية ، ساطع الحصري ، دار العلم للملايين ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص 56 .
3- مقارنة للحركات القومية في المانيا ، ايطاليا ، الولايات المتحدة وتركيا ، الدكتور صلاح العقاد ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1967 ، ص 10.
4- نور الدين حاطوم ، المرجع السابق ذكره ، الجزء 5 ، ص 37 .
5- "كلام العرب في قضايا اللغة العربية"، الدكتورحسن ظاظا: مكتبة الدراسات اللغوية بمصر ، 1971 ، ص 100 .
6- المزهر للسيوطي ، الجزء الاول ، ص 404 .
7- تاريخ اللغات السامية ، ص 166 .
8- انظر : فقه اللغة للثعالبي و(نشوء اللغة العربية) لانستانس الكرملي و(غرائب اللغة العربية) لرفائيل نخلة اليسوعي و(المزهر) للسيوطي ج1 ، و(فقه اللغة) للدكتور عبد الواحد وافي .
9- آراء في العربية ، عامر رشيد السامرائي ، مطبعة العاني ، بغداد ، د.ت ، ص 77 .
10- المزهر للسيوطي ، ص 407-409 .
11- اللغة :عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، عدد17، 1974 .
12- البيان والتبيين للجاحظ ، ج1 ، القاهرة ، 1974 ، ص 159 .
13- فلسفة اللغة ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، 1956 ، ص 257 .
14- محمد الغاسي ، التعريب ووسائل تحقيقه ، بحث منشور في مجلة (الاصالة) الجزائرية ، عدد 17، 1974 .
15- المصدر السابق ذكره
16- كتاب الدورة (43) للمجمع اللغوي بالقاهرة ، ص 16 .
17- صحيفة " المجاهد " الجزائرية " ، 9/24 /1996 .